مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والأمنية في فلسطين

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

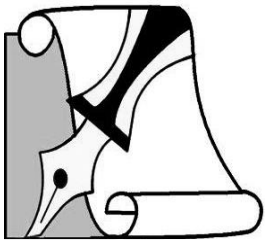

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تحليل نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية في فلسطين

أهداف المركز الرئيسية:

1 . إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.

2 . الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.

3 . بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.

4 . إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

عدوان جنين.. مواجهة بين جيلين: الكوماندوس البري الصهيوني الجديد.. والشباب الفلسطيني الصاعد
والتكنولوجيا اللوحية الإسرائيلية تحكمت بسيْر العملية

لا تزال تداعيات معركة جنين، والبطولات التي حقّقها الشعب الفلسطيني، مقابل الخيبة في أوساط القيادات السياسية والعسكرية الصهيونية، تتصدران المشهد في الأراضي الفلسطينية المحتلة (قطاع غزة والضفة الغربية) والداخل الصهيوني، حيث حقّق هذا العدوان شبه إجماع في أوساط القوى السياسية والحزبية الصهيونية، بما فيها اليسار.

وعليه، ليس من قبيل المبالغة القول إن هذه المعركة ستدخل التاريخ باعتبارها لحظة التحوّل النوعي لتراكماتٍ تتواصل في وعي الشعب الفلسطيني (بالرغم من تخاذل وتواطؤ السلطة الفلسطينية مع المحتل وموقفها الحيادي تجاه الإجرام الصهيوني). ولا يقتصر هذا التحوّل على حقيقة أن بنيامين نتنياهو، وجيشه الضخم وحكومته الفاشية، قد فشلوا فشلاً ذريعاً في تحقيق أهدافهم بكسر مقاومة مخيم جنين وتصفية المقاومين وقاعدتهم الشعبية؛ بل وأيضاً في تحوّل الحاضنة الشعبية للمقاومة في مخيم جنين إلى حاضنة فلسطينية شعبية عامة في كل فلسطين التاريخية.

أما على المقلب الآخر، فكان لافتاً في هذه العملية حجم ونوعية وكم القدرات والقوات التي شاركت فيها (لا سيما التكنولوجية منها للمرة الأولى)؛ إذ استخدمت "إسرائيل" في عدوانها على مخيم جنين، الذي لا تتجاوز مساحته نصف كيلومتر مربع، بكثافة سكّانية كبيرة مكوّنة من ستة عشر ألف لاجئ شرّدهم التطهير العرقي الإسرائيلي في أثناء نكبة عام 1948، أكثر من لواء كامل مكوّن من ألف وستمائة جندي، بالمدرّعات والدبابات وطائرات الأباتشي والصواريخ، وأسراب كاملة من المسيّرات العسكرية ومنظومة استخبارات هائلة.

وما هو الهدف من وراء قيام جيش الاحتلال وقيادته بهذه العملية؟ إليكم التفاصيل:

عملياً، شكّل العدوان على جنين فرصة لاستخدام جيش الاحتلال تكنولوجيات عسكرية جديدة، وللزجّ بجيل جديد من قوات الكوماندوس في أول تجربة حقيقية. والأكثر أهمية أن هذا الجيش وجد في العدوان، وبحسب قراءات إسرائيلية، فرصة "لتلقين" الجيل الفلسطيني الجديد في مخيم جنين، درساً، بتعريفه على مدى "قوة" جيش الاحتلال وإمكانياته العسكرية.

علاوة على ذلك، تعكس العملية العسكرية الأخيرة التي استهدفت جنين، رؤية قائد هيئة أركان جيش الاحتلال، هرتسي هليفي، ما يعني أن الجيش كان معنياً بها أيضاً، وليس كما روّج الكثير من المحلّلين والكتّاب، وكأنّ العملية العسكرية فُرضت على الجيش من قِبل المستوى السياسي فقط، من دون التقليل من الضغوطات التي مارستها الحكومة. فعمليات من هذا النوع تشكّل فرصة لتجربة أسلحة جديدة.

وإذا ما دقّقنا بأقوال هليفي، نجد أنه كان قد عزا، خلال خطابه في "مؤتمر هرتسليا" الأمني قبل نحو شهرين، جزءاً من دوافع العمليات ضد الاحتلال والأهداف الإسرائيلية، إلى وجود جيل شاب في الضفة الغربية لم يعش الحملة العسكرية التي شنّها جيش الاحتلال على الضفة عام 2002، وأطلق عليها اسم "عملية الدرع الواقي". وعليه، "يخطئ، وفقاً لهليفي(أي الجيل الفلسطيني الجديد) حين يعتقد أنه بواسطة الإرهاب سيحقّق إنجازات كبيرة"، ما يخلق حالة من عدم الردع، برأي الباحث.

وعلى ماذا استندت رؤية هليفي العسكرية؟ فلنقرأ سوياً

في الواقع، لدى هليفي مفهوم عسكري تقليدي، يعتمد على "كي الوعي" من خلال القوة. فهذا القائد لم يُشر إلى حدود استخدام القوة العسكرية، في خطابه في هرتسليا، بل استعرض مكوّنات قوة جيش الاحتلال، التي تكمن في "المعرفة والدقة والقوة". ويرى هليفي (أي قائد أركان جيش الاحتلال) أنه "يوجد في ساحة المعركة أيضاً الكثير من العلوم النفسية. ويجب على العدو الشعور بأن ما تفعله له أكبر من قدرته على التحمّل، ويجب التعبير عن ذلك بواسطة القوة."

من هنا، فإن العملية العسكرية في جنين عكست توجهات قائد هيئة أركان جيش الاحتلال، وذلك "من خلال استخدام القوة، التي ستساهم في أن يعيش الجيل الفلسطيني الشاب مجدداً تحت تأثير "الدرع الواقي". وليس من قبيل الصدفة (ودائماً بحسب رؤيته) أن العنصر النفسي سيطر على العملية من خلال الضربة الافتتاحية للهجوم الجوي الدقيق والموجّه من قِبل طائرات بدون طيار."

وما هو الدور الذي لعبته القدرات التكنولوجية في العدوان على جنين؟ الإجابة في السطور الآتية:

صحيح أن الحملة العسكرية عكست توجهات جيش الاحتلال، لكنها أيضاً جنت ثماراً بحيث سمحت الحملة للجيش فرصة لإثبات قوته بحسب القيادات الأمنية والعسكرية. وبالتالي لم يكن عبثاً، من وجهة نظرهم، أن أتاح جيش الاحتلال تغطية مكثّفة لنظام التحكّم بالعملية، والتي وُصفت بأنها واحدة من أكثر العمليات العسكرية في الضفة الغربية اعتماداً على التكنولوجيا، بالتعاون الوثيق بين جهاز الاستخبارات ومشغّلي القوة الجوية والجنود على الأرض، الذين تم تجهيز معظمهم بأجهزة لوحية (تابليت).

فالعملية العسكرية كانت أول تجربة حربية لوحدة الكوماندوس البرية، التي أقيمت عام 2015، ويعمل الجيش الإسرائيلي على تأكيد هيبتها ومكانتها كوحدة نخبة. ولذلك تبنّى الجيش مقولة أن "تطوير تكنولوجيات عسكرية يشجّع على استخدامها". وتعقيباً على ذلك، قال الباحث في العلاقات الدولية زئيف عوز، إن "الجيش يتأثر بتقديس التكنولوجيا، ويدفعه لاستخدام تكنولوجيا متطوّرة ضد الفلسطينيين، بعيداً عن أي منطق سياسي".

من هنا، منحت عملية جنين الأخيرة فرصة للجيش لتنفيذ أول تدريب عملي وتكتيكي مهم وواسع وعلني، في إطار التعاون بين أذرع الاستخبارات، والقوات الجوية والقوات على الأرض، بطريقة غير متاحة في غزة؛ وبالتأكيد ليس في لبنان. وخلص إلى أن الموارد التي تتيح ذلك تبرّر زيادة ميزانية الأمن.

ولماذا استخدم الاحتلال طائرات مسيّرة خلال عدوانه على جنين؟

إن السمة الرئيسية التي ميّزت هذا العدوان عن غيره طيلة العقود الماضية، هو الاستخدام الواسع والمكثّف من جيش الاحتلال للطائرات المسيّرة؛ والأهم أنها المرة الأولى التي تزجّ فيها "إسرائيل" الأنواع الانتحارية منها، حيث أطلق عناصر جيش الاحتلال، "في المجموع، ست طائرات مسيّرة من طراز 'ماعوز' خلال العملية."

وفي هذا السياق، ذكرت صحيفة "يديعوت أحرونوت" أن مقاتلي وحدتي "دوفدوفان" و"ماغلان" في جيش الاحتلال، استخدموا، مسيّرات من طراز "ماعوز" خلال العملية العسكرية.

وإذ أوضحت الصحيفة أن المسيّرات المذكورة من صُنع الشركة الإسرائيلية الحكومية "رفائيل" "تحتوي على كمية صغيرة من المتفجرات، زعمت أنها استُخدمت "لضرب أهداف إرهابية في محيط" مخيم جنين.

علاوة على ذلك، أكد جيش الاحتلال أن "الأهداف التي تم استهدافها كانت نقاط المراقبة والسيطرة" التابعة للمقاومين في المخيم، والتي زعم أنها "احتوت أيضاً على عشرات العبوات الناسفة. وذكرت تقارير عسكرية أن استهداف نقاط المراقبة بواسطة مسيّرات "ماعوز"، "جعلتها تنفجر بأمان، ومن مسافة بعيدة."

بدورها، لفتت مصادر عسكرية وأمنية صهيونية إلى أنه، في الوقت الذي نُظر إلى استخدام المسيّرات في جنين، من قِبل الجيش الإسرائيلي، على أنه "نجاح"؛ فإنه ليس من المستبعد أن يعمد جيش الاحتلال مستقبلاً إلى استخدام المسيّرات ذاتها بُغية تنفيذ عمليات اغتيال.

الجدير بالذكر أنه تم تزويد وحدات النخبة بطائرات "ماعوز" المسيّرة الانتحارية العام الماضي، ولم يُمنحوا الضوء الأخضر لاستخدامها إلاّ هذا الأسبوع، مبيّنة أن هذه الطائرات قادرةٌ على التحليق في

أزقة المخيم بهدوء، أو داخل المباني. ويمكن أيضًا تشغيلها بشكل مستقل، وهي تنفجر في الهدف بدقة كبيرة وقاتلة دون تعريض حياة الجنود للخطر.

وهل أيّد اليسار الإسرائيلي العدوان على جنين؟

بالرغم من معارضة اليسار الإسرائيلي لحكومة نتنياهو الفاشية، وتحذيره من مخاطر سياساتها، إلّا أنه انضم إلى القوى الصهيونية الأخرى في تأييد العدوان، وهو ما عبرّ عنه الباحث في معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي، عضو الكنيست السابق، عوفر شيلح (أبرز رموز اليسار)، الذي أشار إلى أن العملية العسكرية في جنين حقّقت نجاحاً من المنظور التكتيكي العملياتي. لكنه لفت إلى أن الأمور يجب ألاّ تلتبس على الجيش، وذلك أن "العدو الذي هرب من مخيم جنين للاّجئين لا يشبه أي قوة محاربة مستقبلية يمكن أن يواجهها الجيش الإسرائيلي في غزة أو لبنان."

وفنّد "شيلح" رؤيته لما حصل بالقول: إن المشكلة التي دفعت باتجاه العملية العسكرية "لم تكن قوة وجودة عصابات الإرهاب (على حد تعبيره)، وإنما الحرية المطلقة التي تمتعت بها (المقاومة)، والتي صعّبت جداً العمليات التي تنفّذها قوات الأمن (الإسرائيلية) ضد الفلسطينيين.

ولفت "شيلح" إلى أن الهدف المحدود والتكتيكي للعدوان، تمثّل في استعادة حرية عمل الجيش وجهاز الشاباك. وكشف أنه في الأشهر الأخيرة، أجبِرت الوحدات، التي وصلت للقيام باعتقالات أو لإحباط عمليات، على القيام بذلك في وضح النهار، أو بقوات كبيرة جداً، لأن المقاومين تمكّنوا من تشكيل دائرة أمنية، من خلال كاميرات ووسائل أخرى.

وأكثر من ذلك، يؤكد "شيلح" أن للعمليات الكبيرة خلال النهار ثمناً، ليس فقط باحتمال تعقّدها، وإنما أيضاً باحتمال تسبّبها بإصابات لدى الطرف الآخر؛ وهو الأمر الذي قد يُشعل الوضع في أماكن أخرى في الضفة الغربية، وحتى التورط في جبهات إضافية.

وممّا خلص إليه الكاتب، أن حكومة الاحتلال معنيّة بإضعاف السلطة الفلسطينية وتقوية حركة حماس، لأنها غير معنيّة بحلٍ للصراع."

وكيف قيّمت وزارة الأمن الصهيونية العملية؟ وهل حقّقت العملية أي نجاحات تكتيكية تُذكر؟

حرص وزير الأمن الإسرائيلي، يوآف غالانت، على الظهور بعد العملية بمظهر المنتصر، إذ زعم "تحقيق أهداف العملية بالكامل" في جنين ومخيّمها. كما ذكر أنه بات للجيش الإسرائيلي وجهاز الأمن الإسرائيلي العام (الشاباك)، "حرية عمل أخرى في جنين."

وتباهى غالانت قائلاً: "أنهينا عملية تركّزت ضدّ التنظيمات الإرهابيّة في مخيم جنين. ونحن نتحدث عن منظمات مختلفة ذات قاسم مشترك"، مضيفاً أنه "خلال الـ48 ساعة الماضية، ألحقنا أضرارًا كبيرة بالبنية التحتية للإنتاج الإرهابي، ودمّرنا مصنع الإنتاج الإرهابيّ الذي تم إنشاؤه في جنين"، على حدّ وصفه.

وتابع غالانت: "نتحدّث عن عشرات المواقع التي كانت فيها ورش لإنتاج العبوات الناسفة، والمختبرات، ومواقع التخزين؛ وكذلك وسائل أمنية لحراسة مداخل المخيم، والتي حاولت رصد الأنشطة الروتينية"، التي يقوم بها جيش الاحتلال في المخيم، خلال الفترة الأخيرة. وقال: "اعتقلنا العديد من المتورّطين في الإرهاب، وألحقنا الأذى بهم."

وماذا عن تقديرات المحلّلين والباحثين الصهاينة للعملية؟

بالرغم من أن العدوان على جنين حاز على إجماع غالبية النخب الأكاديمية والبحثية والإعلامية الصهيونية، إلّا أن تقديراتهم بشأنها اختلفت في العديد من النواحي.

من هنا، أكّد رئيس معهد ميسغاف لشؤون الأمن القومي والاستراتيجية الصهيونية، مئير بن شبات، أن "العملية العسكرية في جنين حقّقت أهدافها، ولكن ليس من المتوقع أن الواقع الأمني في يهودا والسامرة (الضفة الغربية) سيتغير في أعقابها."

ورأى أن العملية كانت ضرورية لوقف تعاظم قدرات التنظيمات الإرهابية الفلسطينية في مخيّم جنين، الذي شكّل تهديداً لحريّة عمل الجيش الإسرائيلي؛ وأيضاً مثالاً يُحتذى به بالنسبة "لإرهابيين" فلسطينيين بمناطق أخرى" في الضفة. وذهب إلى أبعد من ذلك بالقول: "كان يتوجب شن هذه العملية من أجل إحباط المحاولة لنسخ الأنماط الإرهابية التي تطورت في غزة، مثل إطلاق صواريخ على بلدات جبل جلبوع."

وخلص بن شبات إلى القول: "من يعلّق الآمال على السلطة الفلسطينية يتجاهل حقيقة تحمّلها اللوم عن الواقع الذي تبلور في شمال السامرة (الضفة)". وتابع: "إسرائيل من جانبها ستضطر للاستمرار في إحباط البنى التحتية الإرهابية بقواها الذاتية، وعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار بأنه سيتم تنفيذ عمليات إرهابية فلسطينية انتقامية أخرى، ستنطلق سواء من منطقة جنين أو من مناطق أخرى."

بالمقابل، شدّد محلّلون عسكريون إسرائيليون آخرون، على أن العدوان على مدينة جنين ومخيمها، لن يغيّر الوضع الأمني في المدينة بشكل جذري مثلما يزعم قادة الاحتلال.

ولهذه الغاية، أشار مدير "معهد أبحاث الأمن القومي" في جامعة تل أبيب، ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية الأسبق، تَمير هايمان، إلى أن هذا العدوان ليس عملية عسكرية واسعة على غرار اجتياح الضفة في العام 2002.

وأضاف هايمان، في تحليل للوضع الحالي نشره في الموقع الإلكتروني للمعهد، أنه "أنصح أيضاً بالتوقف عن أقوال مثل "عملية عسكرية لإعادة الردع"؛ فإعادة الردع ليست غاية هذه العملية العسكرية، لأنه لا يمكن قياس ذلك". واعتبر أن "غايات صحيحة هي التسبب بتآكل العدو واستهداف المختبرات والمسلّحين."

وفي حين يصف الإسرائيليون المقاومة الفلسطينية بـ"الإرهاب" وجنين بـ"عاصمة الإرهاب"، أشار هايمان إلى أن "جنين ليست عاصمة الإرهاب، لأنه لا توجد عاصمة للإرهاب. والإرهاب موجود في قلوب

ومعنويات الأفراد، وهذا ليس مكاناً واحداً. وإذا قمنا بتفكيكه نكون قد حللنا المشكلة. فالوضع معقّد أكثر."

وادّعى هايمان أن "هذه العملية العسكرية ليست ضد السلطة الفلسطينية، التي تقتضي المصلحة الإسرائيلية بالحفاظ عليها. ورغم جميع مساوئها، هي جزء من الحل وليس من المشكلة."

كما شدّد على أن العدوان على جنين هو "عملية عسكرية تكتيكية. ومن دون بنية تحتية استراتيجية سياسية شاملة، لن تغيّر فعلاً الواقع لفترة طويلة. وبإمكان العمل العسكري أن يؤدي إلى إحباط عمليات مسلّحة وقتل مسلّحين وإتاحة واقع عملياتي أفضل. لكن العمل السياسي وحده يضمن الاستقرار في المدى البعيد."

وفي النهاية، سأل هايمان: ما هو الهدف السياسي الإسرائيلي؟ وهل إنشاء ظروف أفضل من أجل إعادة قوات الأمن الفلسطينية إلى شمال السامرة، ليس على حراب الجيش الإسرائيلي وإنما بإنشاء الظروف؛ أو أن إبعاد السلطة الفلسطينية، وتحمّلنا المسؤولية وإعادة السيطرة الأمنية على المنطقة إلى أيدي إسرائيل؟ وطالما يبقى هذا ضبابياً وغير محسوم، فإن هذه العملية العسكرية ستقود إلى تحسن الوضع الأمني في المستوى التكتيكي، ولكن ليس مؤكداً أن يصمد هذا لفترة طويلة."

وما كان موقف السلطة الفلسطينية من العدوان على جنين؟

في الحقيقة، لقد عمّق العدوان الصهيوني الأخير على مخيم جنين الغضب الشعبي العارم ضد التنسيق الأمني وكل عقيدته التي وُلدت مع اتفاق أوسلو، والتي تفرض على الأجهزة الأمنية واجب حماية المحتلين، وهي عاجزة عن حماية نفسها وشعبها من هؤلاء المحتلين أنفسهم. وكان السؤال الذي يتردّد شعبياً: لماذا لا تتصدّى الأجهزة الأمنية لقوات الاحتلال التي تمرّ من جانب مقرّاتها في غزوتها مخيم جنين؟ ولماذا لا تشارك في التصدّي لاعتداءات المستوطنين الإرهابية ضد الفلسطينيين، كما جرى في الانتفاضة الثانية؟!

ومن هذا المنطلق، أصبحت الدعوة إلى إنهاء التنسيق الأمني مع الاحتلال فعلياً، وليس شكلياً، نهائياً وليس لفترة مؤقتة، مطلباً شعبياً شاملاً، مثل المطالبة بوقف كل أشكال الاعتقالات السياسية، وإفراج السلطة عن جميع المعتقلين السياسيين، وعدد منهم من المقاومين.

ومع ذلك، فإن المخزي في الأمر أن التنسيق الأمني بقي مستمرًّا، وظلّت أجهزة الأمن الفلسطينية تتناوب على ملاحقة المقاومين مع الاحتلال، وآخرهم اثنان اعتُقلا مع الساعات الأولى للعدوان على جنين. أحد المعلّقين على قناة "كان" الإسرائيلية الرسمية فسّر هذه الازدواجية بالقول إنها باتت مريحة للطرفين؛ أي أن تعلن السلطة عن وقف التنسيق حفظًا لماء الوجه أمام جمهورها، بينما يدير الطرفان اتصالاتهما تحت الطاولة.

لكن الحال ليست كذلك تمامًا في الجانب المقابل، إذ لا يبدو الإسرائيليون حريصين على التكتم على تلك "الحيلة" المزعومة؛ وهو ما ظهر في تصريح نتنياهو، قبل أسبوع من الهجوم، وكذلك ما نقلته "يديعوت أحرونوت"، في ساعاته الأولى، عن أن السلطة أُبلغت بالأمر، و"طُلب من قواتها الأمنية الانسحاب"، وغير ذلك العشرات مما كان معلنًا ومسرّبًا عن "تنسيق تحت الطاولة" على امتداد الأشهر الماضية وخلال الاقتحام.

يُمعن الإسرائيليون في هدر ماء وجه السلطة، وإحراجها، وإضعافها أمام جمهورها، بينما يتحدث نتنياهو، في المقام ذاته، عن أنهم يستعدون لمرحلة ما بعد أبي مازن.

ونظراً لأهمية التنسيق الأمني والفوائد التي تجنيها "إسرائيل" منه، خصوصاً على مستوى الإيقاع بعناصر المقاومة، تبنّى المجلس الوزاري الإسرائيلي المصغّر للشؤون الأمنية والسياسية (الكابينيت)، في 9 تموز الجاري، مقترح رئيس الحكومة، بنيامين نتنياهو، لـ"منع انهيار السلطة"، مع الدفع "بمطالبتها بوقف أنشطتها ضد إسرائيل في المحافل القضائية والسياسية الدولية، ووقف التحريض في وسائل الإعلام ومناهج التعليم، ووقف دفع المخصصات لعائلات الإرهابيين والقتلة، ووقف البناء غير القانوني في المنطقةC "

كما شدّد البيان الإسرائيلي على أن قوات الاحتلال "ستواصل العمل بتصميم على إحباط الإرهاب".

الخلاصة

لعل أهم ملامح التحوّل النوعي الذي شهدته الأيام الماضية في فلسطين، يتمثل في عدد من النقاط، وفي مقدّمتها انضواء الشباب الفلسطيني في أنشطة المقاومة بكل أشكالها، حتى صار مستحيلاً التمييز بين المقاومين المحترفين وآلاف الشباب المشاركين في المقاومة. وبذلك تحوّلت المقاومة المسلّحة في الواقع إلى جزءٍ من مقاومة شعبية شاملة. وما العمليات البطولية التي نفّذها مقاومون في مقتبل العمر إلاّ خير دليل على ذلك؛ وهي جعلت سفر المستوطنين على الشوارع الالتفافية في الضفة الغربية مخاطرة بحياتهم. والآن يبحث وزير الجيش وقادته عن حلول جذرية لإنهاء هذه "الظاهرة".

فالعدوان أثبت أن مخيم جنين لم يُترك وحيداً، بل شكّل نقطة استقطاب للفعل النضالي المتكامل والموحّد. زد على ذلك أن العدوان الإسرائيلي على مخيّم جنين أتى بنتائج عكسية لما خطّط له نتنياهو، إذ لم يؤدّ تصعيد القمع والقتل والاستيطان، وإعلان برنامج ضم الضفة الغربية وتهويدها، إلّا إلى تصعيد المقاومة، وبروز جيل شاب فلسطيني أكثر عزماً وتصميماً وجرأة ومهارة والتزاماً بالمقاومة من أجل الحرية والكرامة ... فهل ترتقي القيادات الفلسطينية هذه المرّة إلى مستوى هذا الجيل الباسل ومستوى وحدته النضالية؟